(٣) كندا: العقلية الصهيونية الجديدة

على الرغم من أن الاسرائيليين والمجلس اليهودي العالمي والمنظمات الصهيونية العالمية وصنائعها على امتداد العالم استطاعوا في أيار وحزيران ١٩٦٧ ان يقنعوا حلفاءهم الغربيين، مثقلي الضمائر ان الحشود العربية على وشك أن تفني اسرائيل، الا أن هذه الجماعات ذاتها فشلت بعد ثلاث سنوات من الدعاية المحنكة المثابرة في اقناع شعوب العالم أن الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية حدث تاريخي خيّر يساهم في التحديث . ولقد اصبح الصهيونيون جد حساسين بقنوط واكتئاب تجاه أدنى خروج على فولكلورهم التقليدي عن اسرائيل التقدمية ذات التوجه التكنولوجي وطيبة شعبها وروحها العسكرية وصلابتها الاسبرطية ، وذلك يعود الى فشلهم في كسب مباركة العالم الخلقية لاحتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية (رغم انهم قد حصلوا على دعم الامبرياليين في عدم الانسحاب قبل الحصول على « حدود آمنة ومعترف بها ») وانكارها للشخصية الفلسطينية ومحاولتها قمع حركة المقاومة. وابرز مثال على هذا اليأس والقنوط والخيبة في كندا هو الحملة الراهنة التي يشنها الصهيونيون للطعن في نزاهة « روبرت رجلي » وتسفيه كتابته عن الشرق الاوسط . ويتوجب علينا أن نفسر ضمن هذا المنظور رد فعل المحافل والجماعات الضاغطة الصهيونية في « تورنتو » لسلسلة من اربعة مقالات نشرها « رجلي » في جريدة « ستار » من ٥ الى ٨ آب ١٩٧٠ .

لم تزح هذه المقالات النقاب عن كشوفات مذهلة ، الا ربما بالنسبة لصهيوني « تورنتو » . فقد قال رجلي أن الفلسطينيين يفضلون الموت على الذل ، وذكر أن الجيش الاسرائيلي هدم ثلاث قرى هي يالو وبيت نوبا وعمواس وبنى مكانها كيبوتزا . واضاف ان الاسرائيليين يمارسون العقاب الجماعي، وعرّف هذا المفهوم بمعناه الاسرائيلي على النحو التالي : « اذا ما حصل هجوم على الاشخاص الاسرائيليين او الممتلكات الاسرائيلية، وكانت هناك معرفة مسبقة به او لم يقم الشهود بالابلاغ عنه ، فان العقاب يوقع بسكان المنطقة التي حدث فيها الهجوم. ويتضمن العقاب في العادة نسف الممتلكات التي انطلق منها الهجوم بالديناميت » (ستار ص ٣٣ ، ١٩٧٠/٨/٦). واورد رجلي حوادث تعذيب وابعاد واعتقال اداري ضد المحرضين على التظاهر او غير المتعاونين مع سلطات الاحتلال . (ستار ص ٢٧ ، ١٩٧٠/٨/٧) . وقد اشار الى قطاع غزة على انه « اناء مضغوط » حيث « يحرس الجنود الاسرائيليون الفزعون الشوارع وايديهم على الزناد ، وحيث يسور الهواء بالكراهية الصامتة » . بكلمات اخرى ، أورد رجلي ما رآه وما سمعه وما استطاع أن يتحقق منه بالمعاينة المباشرة . ولكن يبدو أن أكثر ما ازعج الصهيونيين هو قوله أن « الدوريات الاسرائيلية الراجلة في مخيمات اللاجئين الستة المهتاجة قد استبدلت بالسيارات المدرعة ، ومع ذلك لا تزال الكمائن مستمرة » وان « كتيبتين اسرائيليتين ترابطان في غزة » وأن المدرسة الثانوية الوحيدة فيها قد « اغلقت في تشرين الثاني » وأن ذلك كله ناجم عن تغلغل حركة المقاومة في القطاع . (ستار ص ٦ ، ١٩٧٠/٨/٨) . لا يمكن الاستخفاف بهذا المراسل الكندي الشهير الذائع الصيت واعتباره مجرد هاو أو عميل عربي . وهو الى ذلك في مركز قوي جدا لا يمكن معه فصله من عمله نتيجة بضعة اتصالات هاتفية يقوم بها بعض اعضاء رابطات الدفاع اليهودية او نتيجة زيارة لمكتب رئيس التحرير يقوم بها هاخام مشهور . لذا فان الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الصهيونيون اخراس رجلي هي القيام بمقاطعة فعالة لصحيفة « ستار » على غرار المقاطعة التي نظمها صهيونيو نيويورك ضد الـ « نيويورك تايمس » عام ١٩٤٧ ، تلك المقاطعة التي اجبرت الـ « تايمس » على تغيير موقفها من العداء للصهيونية الى موالاتها والدفاع عن اسرائيل . غير أننا لا نظن أن الصهيونيين في تورنتو سيلجأون الى هذه الطريقة ، فالـ «ستار» الى جانبهم ، وكل ما ابتغته هو أن تعرض وجهة النظر العربية للمرة الاولى في اثنين وعشرين عاما وذلك كي تتجنب تقريع « لجنة مجلس الشيوخ المختصة بشؤون وسائط الاتصال الجماهيرية » التي وضعنا أمامها دراسة خاصة لمقالات الـ « ستار » حول الشرق الاوسط تبين سلوك وعواطف وسياسات « بيتر نيومان » رئيس التحرير .

وفيما يتعلق بتاكتيك الصهيونيين في مواجهة ما أورده رجلي ، فان هؤلاء قد لجأوا ببساطة الى